



Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة

ISSN: 2707-7675

Journal of University Studies for Inclusive Research
Vol.5, Issue 54 (2026), 158659- 158685

USRIJ Pvt. Ltd

اللغة الروائيّة في يوم "الجمعة يوم الأحد"

"خالد زيادة"

الباحثة: نوال عبد الفتاح الحبشي

Nawal abdel Fattah el habshi

Nawalnaja0@gmail.com

المستخلص باللغة العربية:

طرابلس في تكوينها التاريخي، مدينة بقلب واحد، وأجسام متعدّدة بروح متّوحدة تتجسد بالعادات والتقاليد المشتركة لنمط حياة أهلها وأسلوب عيشتهم، مع تنوّع طوائفهم واختلاف أديانهم إلا أنّ ذلك عزز روابط التماسك الاجتماعي بين شعب المدينة وأدى إلى التعايش المشترك والمحبة والتآخي، والتضامن مع بعضهم في كلّ المناسبات الدينيّة والاجتماعيّة. ومدينة طرابلس بإطار تاريخي موحّد بنمط البناء الفنّي المعماري، وطريقة المعيش الاجتماعيّة. ولما كانت المدينة مثقلة بالغنى الفكري الناتج عن الغنى الحضاريّ، برز الغنى الثقافي بأبهى جماليّات صوره بشخص أديب ومؤرخ المدينة الذي ترجم حبه لمدينته كتابةً وإبداعاً بروائع فكريّة أدبيّة، تجلّت كتباً وروايات في سيرة المدينة .

فكان خالد زيادة الذي جسّد حياة طرابلس في فترة زمنيّة معينة وسلّط الضوء على تاريخ المدينة الاجتماعي والأحداث التي عاشتها والتغيرات التي شهدتها ما بين (1955-1958) بكتابه "يوم الجمعة يوم الأحد"، والذي فاق المؤلف فترجم لسبع لغات عالميّة، معتمداً زيادة على ذاكرته منذ الطفولة المتمسكة بالأصالة رغم فرحه بالحدّثة التي طالّت مختلف أوجه الحياة في المدينة، بدءاً من منزله، وصولاً للتغير الديموغرافي والتّاريخي الكبيرين في طرابلس. فحرص على تخليد ذاكرة الصبا في **يوم الجمعة يوم الأحد** وهي رواية من "ثلاثيّة مدينة على المتوسط"، بدراسة إيديولوجيّة تعتمد على ثنائيّة العيش في طرابلس (الليل/النهار، الدولة/المدينة، المسلم/المسيحي).

الكلمات المفتاحيّة: المدينة- طرابلس- الرواية- التقليد- الحدّثة- الأصالة- التغيير- التّطور- الطفولة- الصّبا- الذكريات- الماضي-الحاضر.



Abstract: Literary English Translation

Tripoli, in its historical formation, is a city with a **single heart** yet **multiple bodies**, bound by a cohesive spirit embodied in shared customs, traditions, and the lifestyle of its people. Despite the diversity of their sects and the difference in their religions, this diversity has strengthened the bonds of social cohesion among the city's inhabitants, leading to mutual coexistence, love, fraternity, and solidarity in all religious and social occasions. The city is unified by a historical scope, a common building style, a shared architectural artistic heritage, and a uniform way of social life.

As the city is laden with the **intellectual richness** stemming from its civilizational heritage, its **cultural richness** has shone through in its most beautiful forms, notably in the person of the city's writer and historian. He translated his love for his city into writing and creativity through brilliant literary and intellectual masterpieces, manifested in books and novels chronicling the city's history.

This figure is **Khaled Ziadeh**, who embodied the life of Tripoli during a specific period and shed light on its social history and the events and changes it witnessed between **(1955-1958)** in his book, "*Yawm al-Jum'ah, Yawm al-Ahad*" (Friday, Sunday). This work transcended the ordinary, being translated into seven international languages. Ziadeh relied on his childhood memory, which clung to **authenticity** even as he welcomed the **modernity** that touched various aspects of life in the city, starting from his home and extending to the significant demographic and historical changes in Tripoli. He was keen to immortalize the memory of his youth in the "**Trilogy of a City on the Mediterranean**", an ideological study based on the dualities of life in Tripoli (**Night/Day, State/City, Muslim/Christian**).

Key Words

City – Tripoli – Novel – Tradition – Modernity – Authenticity – Change – Development – Childhood – Youth – Memories – Past – Present

1- عنوان الموضوع وتسويغه

"اللغة الروائيّة في يوم الجمعة يوم الأحد"

الأدب نتاج للواقع الاجتماعي الذي يعيشه الأديب أو الكاتب، باختلاف أوجه هذا الواقع سواء كان سياسياً، اجتماعياً، اقتصادياً أو ثقافياً... وبما أنّ الأدب هو الوجه الحضاري للمجتمع بشقيّه: الشعبي والرسمي ويعكس البيئة الحياتية للكاتب، فالأديب لا يُدع من عبث ولا من فراغ، بل نتيجةً لتجارب عاشها وحياة اجتماعية خاضها بجلوها ومرّها، فكسبته تلك التجربة الأدبية الناتج عنها هذا الأديب المبدع بمؤلفاته المختلفة، من نصوص أدبية أو تحليلات سياسية وتاريخ للأحداث التي شهدتها مدينته طرابلس، محبوكة بأسلوب جذاب يشدُّ القارئ ويميز الكاتب فتكون له لغته الخاصة لتفرده بصياغة المفردات كبصمة خاصة به .

وهذا ما لمع به الكاتب "خالد زيادة" من مدينة طرابلس، فكانت مؤلفاته بمثابة بوابة دخول للمدينة والغوص في قصص معيشها، ونمط سكانها بالحياة والعمل والدراسة والتعاطي مع الأزمات السياسية والاقتصادية، والتأقلم مع الحداثة التي طرأت على المجتمعات وأحدثت هذا التغيير الجذري لموازين الحياة وطريقة المعيش في المدينة التي تجمعها أصالة شعبها ووحدتها وتمسكها بكلّ ما مضى مع الزمن لكنه بقي حياً بذاكرتهم، متجذراً بنفوسهم وأفكارهم، متوارثاً عبر الأجيال للحفاظ على هوية وتاريخ طرابلس النهرية (المملوكية/العثمانية) بقلعتها وتكيتها وأسواقها الداخلية، وما تكتنزه من إرث فني هندسي معماري.

2. تحديد الموضوع وأسباب اختياره

أسباب عدّة أدت إلى اختياري بحث "اللغة الروائيّة في يوم الجمعة يوم الأحد" انطلاقاً من وجهة نظر علم من أبرز أعلامها د.خالد زيادة بكتابه "يوم الجمعة يوم الأحد" من ثلاثية مدينة على المتوسط، ليكون نموذجاً عن طرابلس، أهمّ هذه الأسباب هي:

- إنّه موضوع اجتماعي، أدبي، يعكس واقع المدينة الحالي وتأثرها بالحدّات مع تسجيل مراحل تاريخية مهمة عاشتها المدينة وهي محطّ اهتمام الباحثين .
- تاريخ مدينة (طرابلس) الحضاري وغناها بالإرث العمراني بحكم موقعهما الجغرافي وتوالي حكم الدول المستعمرة عليها، ممّا أورثها ثقلاً أدبياً، تاريخياً، اجتماعياً، سياسياً وثقافياً ...
- تسليط الضوء على جماليّة الواقع الاجتماعي في المدينة وغناها بالإرث المعماري الهندسي، المتمركز في القلب الباطن للأسواق الداخليّة في مدينة طرابلس.
- الإرث الثقافي والفكري، المنقل في شخصية الأديب المعاصر ابن طرابلس، السفير الدكتور "خالد زيادة".

3. أهداف البحث

- إغناء المكتبة الجامعيّة بدراسة حول سيرة المدينة النهريّة (طرابلس) .
- الإسهام في خدمة المدينة التي أحببت، ولو بقدرٍ قليل بعد الإستعانة بالمصادر والمراجع الوفيرة السابقة عن المدينة وإفادة الباحثين ولو بشيءٍ يسير إن أحسنت الإضافة في بحثي هذا.
- الرغبة في البحث والغوص بمضمون كتب الأديب انطلاقاً منها، للدخول في مكنونات طرابلس وثرواتها الثقافيّة، الإنسانيّة، الاقتصاديّة والسياحيّة ...
- إبراز القيمة الفنيّة والجماليّة لمعالم المدينة وطباع شعبها الطيّب، مع تسليط الأضواء عليها بالدعاية والإعلام وبالتالي جذب الأنظار العالميّة .
- إضفاء الطابع الأدبي، الثقافي والاجتماعي على صفات المدينة التاريخيّة الطرابلسيّة بشقيّها: البحريّ والنّهريّ.

4. جديد البحث وجدواه والفائدة العلميّة

- إظهار البعد الايديولوجي والنفسي للكاتب من خلال كتاباته، وإبراز مدى تعلّقه ببيئته الأولى والمساحة التي تحتلها الطفولة في قلم الأديب بتدوين مؤلفاته.
- التعرّف على كيفية الولوج في أعماق المدن من خلال قلم ورؤية أديب المدينة، بقراءة وتحليل مؤلفاته ومدى تعبير هذه الكتب عن شغف الأديب بتاريخ المدينة وسيرتها وأهلها.
- إدراك معنى التعايش المشترك، وتجاوز المسلم والمسيحي في الحيّ وتشاركهما لإحياء المناسبات الدينية الخاصة بكلٍ منهما مع بعضهما البعض.
- قراءة لسيرة المدينة التاريخية، السياسية، الثقافية والاجتماعيّة بعين الأديب والمؤرخ وعالم الاجتماع، لينتج عنها: نستولوجيا الأماكن والأشخاص.

5. الإشكالية

- إلى أيّ حدّ طغت الحداثة على نمط الحياة الاجتماعية التقليدية في طرابلس وأثرت بأهلها؟
- لصالح من استغلّ طوفان نهر "أبو علي" سنة 1955 لينتج عنه هذا التغيير الديموغرافي لقلب المدينة المملوكيّة/العثمانيّة؟
- في كلّ دول العالم يبنى فوق النهر جسر لربط الضفتين، كيف يُعقل أن نرى نهر "أبو علي" مسقوفاً بالباطون ومتحوّلاً لمكب للفضلات!؟
- كم يلزمنا من الوقت لإعادة طرابلس للخريطة السياحيّة رغم كل المؤهلات التّاريخية المتوافرة فيها؟

- طرابلس تحتضن كنزاً حضارياً وإرثاً تاريخياً وثقافياً عظيماً، فلماذا لا نعمل على استثمار هذا الكنز وانتشاله من الإهمال والتجاهل والاستهتار!؟

6. الفرضية

أسعى في طيات بحثي إلى الإجابة عن التساؤلات الآنف ذكرها، والتي نتوقع أن نصل من خلالها إلى الآتي:

- الكاتب المبدع الحقّ هو من يلج أعماق بحار الشخصية فيسبر أغوارها، حيث شكّل أسلوب خالد زيادة عماداً للخلق والإبداع.

- إن إبداع الكاتب الروائي سيكون عاملاً أساسياً في التوصل إلى نهايات تخرق أفق توقّعات القارئ، وتسلب منه منطق الفرضيات في محاولات الكاتب لجذب القارئ حتّى النهاية.

- الأدب نتاج المجتمع والأديب وليد بيئته وإبداعه الأدبي بمختلف أشكاله وتوجهاته (قصة، رواية، سيرة ذاتية، تحليل اجتماعي، استنتاج تاريخي...) هو انبثاق عن مجتمعه وعصارة لمرحلة الطفولة المهمة التي عاشها وعاش معها أجيالاً وجيراناً وأحبة، أدت لتكوين هذه الشخصية الأدبية الإبداعية الفذة .

- لعلّ هذه الدراسة ترسم مساراً أدبياً يسهم في مواجهة العوامل المستجدة في المجتمع، فتمكّن القراء من تجاوز الأفكار السلبية إلى الأكثر إيجابية منها.

7. المنهج المعتمد

اعتمدت في هذه الدراسة على ثلاثة مناهج منها: المنهج الفني، المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي، مستعينةً بهم على تحقيق الهدف المنشود من هذا البحث.

7-1: المنهج الفني

يدرس هذا المنهج الخصائص الفنيّة المشتركة بين الأدباء، جامعاً بين الأدب والنقد من جهة وبين الأدب والعلم من جهة أخرى، ومصنفاً الأدباء حسب خصائصهم الفنيّة، لا حسب التطور الزمني أو غيره، إلى مدارس واتجاهات تتميز كل منها بجملة خصائص فنيّة

7-2: المنهج التاريخي

يقوم هذا المنهج على قسمة الأدب العربيّ قسمةً متطابقة مع العصور السياسيّة. ولا شكّ أنّ بين الأدب والتاريخ صلات ونتائج متينة وخاصةً في الأدب العربيّ، فالأدب لا يخضع لتقلّب الحكم المفاجيء، بل يتطلّب زماناً طويلاً لتخمره وتغييره. وليس هناك سور حديدي بين أدب وأدب أو بين عصر وعصر. وقد أفادني هذا المنهج في الفصل الثاني حيث تعدد الأفكار في تقسيم كتاب "يوم الجمعة يوم الأحد" إلى فصول، كلّ فصل يتحدث عن زاوية معيّنة من أحداث طرابلس بين 1955-1958.

7-3: المنهج الاجتماعي.

يصل هذا المنهج بين دراسة الأدب والدراسات الاجتماعيّة، إذ إنّ الأدب في حقيقته تعبيراً عن المجتمع، ولا يوجد أدب دون مجتمع ينبثق منه، كما يدرس الظواهر الاجتماعيّة في البيئة التي ينتمي إليها الأديب. وقد أدّى هذا المنهج إلى ظهور مقياس اجتماعي جديد هو مقياس الالتزام في الأدب الذي يُقيم الأديب بمقداره التزامه قضايا المجتمع، ودفاعه عن الحقّ بكلّ أشكاله.

8. أبرز المصادر والمراجع

إنّ البحث في اللغة الروائيّة للكاتب والسفير والمؤرخ، الشاهد على الأحداث والراوي لها "خالد زيادة"، يتطلّب الكثير من الجهد الفكري ويلزمه عدد كبير من الكتب والروايات، وانطلاقاً من وجهة نظره لمدينته وشعبها،

وذكرياته بدروبها وشيطنته بأزقتها وذكريات الصبا والمراهقة بمدارسها، إضافةً لذكر أبرز الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة والتغيرات الديموغرافيّة التي طرأت على المنطقة، والتركيز على أعلامها وسير العائلات والأشخاص بنمط عيشهم والمحبة والتآخي الذي جمعهم بمختلف المناسبات، لأمر شيق وممتع، يُغني الذاكرة، فيثقل الذهن معرفةً وعلماً وثقافةً. ومن المصادر والمراجع التي أعاننتي بشكل مباشر في موضوع البحث، كتب ومؤلفات د. خالد زيادة (حوارات في الثقافة والتاريخ، يوم الجمعة يوم الأحد) وعدد من المقالات والمقابلات التي كُتبت وأُجريت عن كتبه. مع الإستعانة بمراجع للمرحوم الدكتور نزيه كباره، ود. خالد تدمري، صفوح منجد، د. مهى ود. عطية كيّال، وغيرهم لكتبهم الوافرة بالمعلومات عن مدينة طرابلس.

أولاً: خالد زيادة الروائي الطرابلسي.

اقترن اسم خالد زيادة باسم طرابلس القديمة، إبّان ثورة 1958، وباسم طرابلس الحداثيّة، طرابلس الثقافة والانفتاح الفكري. قدّم لنا كتاباً شيقاً جداً، جديرًا بالمطالعة والاقترناء، فأغنى مكتبتنا اللبنيّة والعربيّة بالجديد شكلاً ومضموناً، رقيقاً بكلماته أنيقاً بأسلوبه، غنياً بمضمونه، فيه مزيج من التّاريخ والقصة والصّورة والسيرة الذاتيّة في تناغم رائع وتداخل سلس. تبدأ بقرائه، فلا تتوقف أو تتقطع، يشدّك إليه، فيحملك من عقل إلى آخر، ومن مكانٍ إلى مكانٍ متنقلاً عبر السنين، جوالاً بين معالم مدينته التي أحبّ بخطى رشيقة وأسلوبٍ راقٍ مميز، هو متواضع بخطابه، لبق بحديثه، جذاب قريب من محاوريه. هو مؤرخ لأحداث طرابلس، كاتب لسيرتها، علامة بلغتها ومعالمها، وأخبار ناسها، بالتّغيرات التي طرأت على حياتهم متزامنةً مع التّغيير الديموغرافيّ إثر ثورة 1958.

ولد في طرابلس 1952، نشأ وتعلّم في مدارسها الرسميّة، حصل على إجازة بالفلسفة من الجامعة اللبنانيّة سنة 1977، تابع دراسة الدكتوراه في جامعة السوربون الثالثة في باريس 1980. كاتب ودبلوماسي، مؤرّخ، أستاذ جامعي ومفكر وباحث في التّاريخ الاجتماعيّ والثّقافيّ.

ركّز معظم أعماله في الفترة الحديثة في رصد التّحوّلات التي طرأت على الأفكار والاتجاهات الاجتماعيّة التي طالت المؤسسات الإداريّة والعلميّة، وقد بدا ذلك واضحًا ذلك من خلال اهتمامه بالعلاقة بين العالمين (العربي /الإسلاميّ وأوروبا)، إذ يربط زيادة تطور المظاهر الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة بتأثرها المباشر بالأحداث العربيّة التي شهدتها المنطقة إبان تولي جمال عبد الناصر¹ الحكم في جمهورية مصر العربيّة والتأثير الكبير الذي أحدثه على البلاد المجاورة بشكل عام .

رأس زيادة المجلس الثّقافيّ للبنان الشمالي 1984 – 1986، شغل منصب مدير كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة –الفرع الثالث/الجامعة اللبنانيّة 1985-1987، وعمل أستاذًا محاضرًا في معهد العلوم الاجتماعيّة في الجامعة اللبنانيّة 1980-2007، في العام 2007 عُين سفيرًا للبنان في القاهرة حتى العام 2016. ومندوبًا دائمًا لدى جامعة الدول العربيّة.

-عضو في الجمعية اللبنانيّة لعلم الاجتماع، والجمعية اللبنانيّة للدراسات العثمانيّة، وعضو في معهد الدراسات المتقدمة في برلين.

من خارج النطاق التقليديّ للأداء الدبلوماسيّ، بمفهومه التقليديّ، الذي يركّز أساسًا على العمل السياسيّ والدبلوماسيّ فقط، اهتم زيادة بالعلاقات الثقافيّة اللبنانيّة المصريّة، معتبرًا إياها امتدادًا طبيعيًا للعلاقات التاريخيّة والمجتمعيّة التي تربط البلدين. يواصل زيادة أعماله البحثيّة منذ العام 1978، حين كان لا يزال

1- عبد الناصر، جمال: (1918-1970). ثاني رؤساء مصر. أحد أهم قادة ثورة 23 يوليو. (البعليكي، منير: معجم أعلام المورد. ص158).

طالبًا يعدّ أطروحته للدكتوراه، فقد عمل خلال تلك الفترة على تحقيق عدد من المؤلفات والرسائل التي يتّصل بعضها بموضوع أطروحته التي ناقشها في جامعة السوربون -باريس عام 1980 بعنوان: "المؤثرات الفرنسية على العثمانيين في القرن الثامن عشر"، وقد صدرت عن دار الطلعية -بيروت عام 1981 بعنوان: "اكتشاف التّقدّم الأوروبي".

كانت هذه الأطروحة بداية اهتمام زيادة بالعلاقات الإسلاميّة والعربيّة من جهة، وبأوروبا والغرب من جهة أخرى. وقد سعى خلالها إلى رصد المؤثرات الأوروبيّة المبكرة على العثمانيين منذ مطلع القرن الثامن عشر بعد أن أدركت السّلطنة تفوّق الأوروبيين عسكرياً، فأخذ السلاطين العثمانيون يجرون إصلاحات تستهدف العلوم العسكريّة بالدرجة الأولى، إلّا أنّ محاولات الإصلاح اصطدمت بالقوى المحافظة، وخصوصاً قوات الانكشاريّة ومؤسسة العلماء، وقد حدث في تلك الفترة تبدّل في موقف العثمانيين المسلمين في اتجاه الأوروبيين المسيحيين، وبعد أن كان هذا الموقف يتّسم بالتّجاهل والاحتقار تحوّل إلى الإعجاب التّدرجيّ بما أحرزته أوروبا من تقدّم في العلوم والتّقنيات والعمران والإدارة.

ثانياً: "يوم الجمعة يوم الأحد" من ثلاثيّة مدينة على المتوسط.

في يوم الجمعة يوم الأحد، كتب زيادة سيرة مقتضبة ترقى بالطابع الذاتي الخاص إلى طابع اجتماعيّ، فهو ليس قصة سردية لأحداث تاريخيّة، بل سيرة تاريخ مدينة وأحياء. "بدأت الستينيات مبكرة في مدينتنا، وانتهت قبل أوانها"، يقول زيادة: "هذه الرحلة الأدبيّة التاريخيّة التي ترسم تاريخ طرابلس الحديث رسماً بالفحم، ينبثق من تدرجات الأسود والرماديّ، زمنٌ كثيف متقن ولغة ذكيّة".

إنّها ثلاثيّة لتاريخ طرابلس بعيون باحث يفتش عن التفاصيل، حتى يرسم صورة كاملة متكاملة أقرب ما تكون إلى الواقع. في هذا الكتاب يروي زيادة سيرة مدينة طرابلس في مراحل التّحوّلات التي سببها التّحديث

العمراني والتبدلات التي أحدثتها التغيرات السياسية والأيدولوجية. اعتمد في كتابه المنهج الأنتروبولوجي، خصوصاً في كتاباته للثنائيات الكاشفة التي تضع الجمعة مقابل الأحد، والدولة مقابل المدينة، والبحر مواجهًا للنهر، والليل معاكسًا للنهار.

يعدُّ الكتاب إضافة للمكتبة العربية، وإغناءً لمسيرة المؤلف العامرة، كما يبدو من خلال تميّز اللغة والأسلوب، وثراء المادة العلمية، وعمق وتعدّد الأبعاد، وما انطوى عليه من تجرّد وموضوعية لافتين. إنّ الكتاب برمته دراسة انطباعية انتقائية متحرّرة من قيود البحث الأكاديمي لظاهرة "العمران" أو "الاجتماع البشري" حسب مصطلح ابن خلدون.¹

ثالثاً: خصوصية يوم الجمعة وقرسية يوم الأحد

مع قدوم زيادة إلى حيّ جديد غريب عنه، تمكّن من التعرّف على عادات جديدة وغريبة، فاختلط بجيران يعتقدون الدين المسيحي، فاكتشف نظام يوم الأحد، "اليوم الذي نرى فيه الرجال قاعدين في منازلهم يلبسون ملابسهم الجديدة، أو يشاركون في الشواء عند الظهر"²، واكتشف أعياد الميلاد ورأس السنة والفصح، كأنّها لم تكن موجودة من قبل ذلك على الإطلاق، وسنحت له الفرصة ليراقب أفراسهم وجنازاتهم في جوّ تسوده الألفة الزائدة بين الجيران مثل الأشقاء والأخوة، "لم تكن إقامة إيفون، مع عائلة مسيحية أخرى أو عائلتين في حارتنا، أمراً مستغرباً بقدر ما كانت تكمل مشهد الحارة في مخيلتي"³. إضافةً إلى قدوم شخص أبو مصطفى، التاجر الأمي، غير القادر على فكّ الحرف، لكنه قادر على فهم ما يفعله، وهو القادم مع عائلته الكبيرة من منطقة باب التبانة في سيارته المحمّلة بشجرة الميلاد المزينة وهدايا العيد للأولاد، يحتفلون بالعيد

1- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: (1332-1406). عالم من علماء العرب والاسلام في علم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد. (البعليكي، منير: معجم أعلام المورد. ص23).

1-زيادة، خالد: يوم الجمعة يوم الأحد. ص75.

2-المرجع نفسه. ص72

في حيّ مسلم... ومشاركته لجيرانه بمشاهدة فيلم (الرسالة)، وتمتمته بكلمات "الله أكبر"، ومن ثمّ انسحابه مع عائلته للوضوء والصلاة في ركن هادىء، السجدة تقي العثرات، وأن الدعاء للآخر في صلاتك يساعده¹. أمّا عن الاستعداد لعطلة نهاية الأسبوع عند خالد زيادة، فكان يبدأ من عصر يوم الخميس تحضيراً ليوم الجمعة، وما يحمله من قدسيّة خاصة به، حيث يستيقظ الجميع باكراً ليستمتعوا بكلّ لحظة من لحظات يوم العطلة، فيضفي ذلك ضجيجاً على الحارات والأسواق التي كانت تغلق بشكل تام عند الظهيرة، لإتمام مناسك الصلاة والتعبّد خصوصاً مع ارتفاع صوت الأذان ليبدأ الإمام خطبته، حيث يذهب الصغار برفقة آبائهم إلى المساجد، بينما يتحضّر المراهقين للمشاركة في المظاهرات النضاليّة بعد الصلاة، ويذهب كبار السن للتزّه في مقهى (التل العليا) الذي هو كناية عن روضة صغيرة بأشجار باسقة، هذا المقهى الذي شهد عصوراً متتالية، يرتاده رجال من أجيال متعاقبة .

"يبقى يوم الجمعة مشدوداً إلى المدينة القديمة إلى السوق والمسجد، فينطبع يوم الجمعة في الأذهان بمعانٍ متناقضة للعمل باكراً في الأسواق حيث الكلّ يهرع له، والصلاة ظهراً، واللّهو عصرًا. إنّه تعاقب لنشاطات مختلفة ومختلطة ومتناقضة: (العمل، الصلاة، اللّهو)²، فكان يوم الجمعة يوم عطلة عائليّ، ويوم الأحد يوم العطلة المدرسيّ الذي يأخذ معنىً وحيداً يرتبط بالراحة، حيث صارت المدينة الحديثة مسرح يوم الأحد، "إننا إزاء نظامين، لكل منهما خاصيّته التي تحتضن، إلى جانب الحاضر موروثات من الماضي، إذ أنّ لا معنى للأوقات خارج حدود المكان"³. " كل جنسيات المتوسّط وأديانه وثقافته كانت هنا، أمرٌ بها، في عبوري، ممثّلة بنسب مختلفة، تقيم احتفالاتها في مناسبات خاصة، وتكمل مشهد التنوّع والتسامح والعيش

1-زيادة، خالد: يوم الجمعة يوم الأحد. ص 89

2-المرجع نفسه. ص 75.

الهنئيء¹ ثم أنّ كيف لها أن تكون "مدينة على المتوسط"² ولا نتفرع للحديث عن الحركة التجارية التي هي نبض طرابلس وأساس أسواقها الداخليّة من تجارة المواد الغذائية في "سوق العطارين"، إلى الأقمشة والأحذية والألبسة في "سوق البازركان"، وما يتطلّب المنزل من أدوات زجاجية وأكسسورات لتزيين البيوت والمطابخ في "سوق حراج"، وكل ما هو مزركش ومميز في "خان الخياطين"، أمّا أهمّ ما اختصت وتميّزت به طرابلس فهي صناعة الصابون في "خان الصابون" العريق الذي شهد تاريخ المدينة مع تتالي الحقبات والحضارات الأجنبيّة (العثمانيين /الفرنسيين /الصليبيين) عليها .

رابعاً: الراوي المعاصر للتقاليد والحدائفة

لقد كانت الستينيات فترة تذليل العقبات بين التقليد والحدائفة، حيث سادت العصرنة، وتمّ التوافق والمهادنة بين النماذج والقيم المتضاربة، فقد اعتبروا كلّ ما حدث مرادفاً للتقدم، للتفاؤل والأمل، "وبدلوا في مستوى المعيشة وأنماطها، بالتزامن مع شقّ الطرقات الواسعة داخل المدينة القديمة، بدون أن يأبه أحد لإزالة المباني المملوكيّة التي استقرّت في المدينة منذ سبعة قرون من الزمن فيما حافظ التخطيط على المسجد النهري"³، وكان العمران يزحف آنذاك بشكل خاص باتجاه الميناء على ثلاثة خطوط بحيث اتصل عمران المدينة بالميناء اليوم، كأن التحديث لا يتمّ إلاّ بالتأثر من القديم، والحقّ أن التحديث العمراني يمكنه أن يشقّ طريقه بالتغاضي عن القديم، كأن تتجاوز المدينة القديمة إلى جانب المدينة الحديثة بدون خصام، أو إهدار للتاريخ، فصار التلّ نواة المدينة الحديثة، تتوسطه (ساعة التل) الشهيرة، وهي هدية مقدّمة من السلطان عبد الحميد

3-المرجع نفسه. ص58.

4-المرجع نفسه. ص 49.

1- زيادة، خالد: يوم الجمعة يوم الأحد، ص129.

الثاني،¹ تحفّ الأبنية التراثية من (قصر نوفل، قصر الإنجا، أبنية آل سلطان فوق قهوة فهيم الشعبية حالياً). من هنا تبدو الحداثة عند زيادة، وكأنّها رديف للقوة والإرادة، قوّة التخلّي عن التقاليد وإرادة التمسك بالمظاهر الحديثة في تبديل معالم الطبيعة، (إزالة الأسواق والأحياء)، والتلاعب بها، قالت المدينة كلّ ما أرادت قوله، وقرنت القول بالفعل، وطوت الصفحة ونُسي الأمر. "كأنّ المدينة أخذت بالتأثر من خصومها، وسعت إثر ذلك إلى مصالحة طويلة الأمد مع الأمر الواقع بعد كلّ هذه الثورة العمرانيّة والحياتيّة، والهجمة على الحداثة بكلّ المظاهر والمضامين، فحسنت أمرها، وقرّرت التخلّي عنه، كأنّها بذلك تترك لقدرها أن يتدبّر أمر قدره".²

خامساً: اللّغة الروائيّة في "يوم الجمعة يوم الأحد"

كتب الأديب زيادة بأسلوب تحليليّ، استنتاجيّ للأحداث التاريخيّة العربيّة وما خلفته من أثر في مظاهر "الحداثة" على المنطقة ككلّ، بمختلف جوانبها الاجتماعيّة، الثقافيّة، السياسيّة والاقتصاديّة، فقد كان واضحاً اعتماده للمنهج التاريخيّ "عام 1958، وأثر "الثورة" التي استمرت أربعة أو خمسة اشهر، وطوفان النهر سنة 1955 الذي يمر في وسط المدينة المملوكيّة. كما تناول فترة عام 1908، ولأعوام قليلة فقط، نشر الاتحاديّون موجة من الأفكار الحديثة تتناسب مع انقلابهم. الفترة الانتدابيّة هي زمن التحديث الفعليّ، وتعطينا فكرة عن تبدّل وتوسّع ديموغرافيين. وتوقف عند سنة 1943 عهد الاستقلال، وبحث في السنوات العشر بين 1948 و1958 التي كانت حافلة بالأحداث التي تعيننا "استعمار مقيت". ورصد زيادة اللحظات

² عبد الحميد الثاني. (1842-1918). خليفة المسلمين الثاني بعد المائة والسلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانيّة. (البعلي، منير: معجم أعلام المورد. ص283).

³ زيادة، خالد: يوم الجمعة يوم الأحد. ص127.

الحرجة في سنوات: (1948-1958-1967-1975)، وخاصة تهديم وتخريب عشوائي يأخذ طابع نزع الاستعمار ولرموزه وأشباهه.

لاحظ زيادة أيضًا عام 1948 انتشار دور السينما 1958، وظهور مقاهي الرصيف على النمط الأوروبي، وانتشار عام 1967 محلات (البوتيك) لبيع الألبسة والسلع الجاهزة، في الوقت الذي كانت تتهاوى فيه الحرف التقليدية، وانتشار عام 1975 ظاهرة بناء العمارات والتجمعات السكنية¹.

بين الأدب والتاريخ صلات ونتائج متينة، خاصة في الأدب العربي، لكنّ الأدب لا يخضع لتقلّب الحكم المفاجيء، بل يتطلّب زمانًا طويلًا لتخمّره وتغييره، إذ ليس هناك سورّ حديدي بين أدب وأدب، أو بين عصر وعصر. يتجلّى واضحًا الأسلوب الأدبيّ عند خالد زيادة عندما نقرأ: "أحدّق في سير باخرة مسافرة حتى تغيب نهائيًا في الأفق. وفي الليالي الصيفيّة، بل حتى في بعض أيام الشتاء، كنت أحصي عدد الأنوار التي تنبعث من زوارق صيد الأسماك"². من هنا إنّ الذي يتتبع نتاج العوامل الإقليميّة والبيئيّة التي تنتج هذا الأدب يلاحظ اندماج الأديب في بلده متأثرًا مع الحركة الإقليميّة ونتائجها.

تتداخل الأنماط وتتوّع، لنلاحظ التحليل الاجتماعيّ، فالأدب في حقيقته، تعبير عن المجتمع، ولا يوجد أدب دون مجتمع ينبثق عنه: "الحارة هي عالما الرمزّي. كنّا نقيم في أطراف المدينة، ولكن على اتصال بوسطها القديم انتمائي إلى الحارة يسبق كل انتماء آخر، وهو جزء من تكويني الأول"³. تكثر صور

1-زيادة، خالد: يوم الجمعة يوم الأحد. ص49.

1-شاوول، ملحم: جريدة النهار. 1994 الخميس 29أيلول.

2- المرجع نفسه. ص 71.

الأمكنة في ذاكرته: "ليس في الذكريات الأول سوى مشاهد. مشاهد مفردة كلٌّ منها يشبه لوحة معلقة ضمن إطار"¹.

أمّا ذاكرته فتملأها الحركة والتغيير والمشاركة في المظاهرات، الذهاب إلى المدرسة، ذكرى وعد بلفور والسير في المظاهرات تنديداً به وهتافاً لفلسطين، الذهاب أيام العطلة إلى النهر. وكنا نروح ونغدو بين الأيام وليس الأمكنة، "المكان" الوحيد إذا اعتبرنا أن "المكان هو المساحة التي تحدّها حدود ما، هو منزلنا العتيق أولاً والذي انتقلنا منه إلى الجديد، ولكن في الشارع نفسه، أمّا خارج المنزل فكان أناس وعلاقات وغدو وروح"². هكذا تتبدل وتتداخل الأساليب التي اعتمدها الكاتب زيادةً للرواية التي تتضمن نمط القصة بعناصرها (المكان/الزمان/الشخصيات/الأحداث/الحبكة/الحلّ)، والسرد لسيرة مدينة (طرابلس) وشعبها، رجل يؤرّخ لمدينة وضعيّة مثاليّة لكتابة سيرة عمرانيّة. نلاحظ أنّ زيادة تارةً شاهد من قلب أحداث القصة، وتارةً باحث يُسجل أحداث يطلّها ويتابعها، فيصفه الأستاذ الجامعي ملحم شاوول "يبدو واقفاً في مكانٍ ما، يرى منه ما يجري حوله، ثابتاً يحاكم المشاهد والصور التي هي لقطات مختلفة لمشهد واحد. أمكنة خارج الأوقات ومجرّدة عن الزمن. لا يكسبها تعاقب الفصول سوى الألوان. كأنّ الذاكرة تعي الأمكنة قبل الأوقات، فتبقى ساكنة"³. المكان بالنسبة له حامل للزمن، ولأنّه متقلت الأسر العاطفي، "كان يحق له هو الصبي الذي أفلته أمه باكراً ليلعب في الحارة مع رفاق له أن يمتلك الميدان"⁴. فكان كلما قُدّر له "أن يتجاوز بعض جهات هذا الميدان أو أن يغادره، يضيف أبعاداً أخرى إلى المشهد الساكن"⁵.

3- المرجع نفسه. ص29.

4- المرجع نفسه. ص.ن.

1- الحلو، أيفون: جريدة النهار. 1994 السبت 20 آب.

2- المرجع نفسه.

3- المرجع نفسه.

فيما حلّت الكاتبة والتربويّة "أيفون عبود الحلو" كيف تستطيع البنت أن تلتقط سيرة المكان إذا ما كانت أسيرة استغراقها فيه؟ هل تكون غلبة الأحداث على ذاكرتي ناجمة عن أنني لم أمتلك ميداناً قط؟ تعيش الفتيات في الداخل، والداخل ليس فيه ممرات وحوانيت وبوابات الداخل لا حدود مكانية فيه، ولكن فيه زمن يجري بقوة الوجوه والناس هم من يحملون الزمن، لذلك تتفرس الفتيات في الوجوه وتتذكرهم. أمّا المكان فساحة يقف عليها الرجال"¹. فقد كتب خالد زيادة عن ذكرياته في الستينيات، ورصد هذا الزمن من خلال تحوّل المدينة، بتعاقب العثمانيين والانتداب والوطنيين عليها، جاعلاً لكلّ زمن مرتكزاً جغرافياً (مبنى السرايا، مركز الشرطة، وبعض المدارس من العهد العثماني، الأمكنة، الأوتيلات والبارات من زمن الانتداب للمدينة الكولونيالية والشوارع العريضة والمضاء بأنوار متلاصقة من زمن الحداثة، بمنهج أنتروبولوجي يعتمد على الثنائيات (التقليد/الحداثة، الليل/النهار، المدينة/الدولة، المسلم/المسيحي، الجمعة/الأحد..).

سادساً: طرابلس برؤية خالد زيادة

السّير في المدينة القديمة هو تجوال في تاريخها، فالأسواق والمعالم الأثرية هي انعكاس لاستمرار الزمن الماضي في الحاضر، والموروثات التي خلفتها الأجيال المتعاقبة للأجيال اللاحقة. طرابلس، هي المدينة الثانية من حيث الحجم وعدد السكان في لبنان بعد العاصمة بيروت، مثقلة بالروابط التي تشدّ الحاضر إلى الماضي و الجغرافيا إلى التاريخ. هي واحدة من المدن القليلة في العالم التي ابتعدت مسافة عن مكانها الأصلي الذي نشأت فيه عند ساحل البحر المتوسط، لتستأنف مسيرتها الحضارية عند ضفتي النهر المنحدر إليها من أعالي الجبال، وقد حدث ذلك عند منعطف حاسم من تاريخها قبل سبعة قرون من الزمن². فارتفعت المباني وشيّدت المعالم، وخطّطت الأسواق، وازدهرت التجارة، ونشطت الصناعات، لتعمر المدينة

1- زيادة، خالد: رحلة الدارس في تاريخ طرابلس. 2003. ص9.

التي استطاعت أن تعبر العصور لتشهد على التاريخ الذي لا يزال ينبض في أرجائها. نبض التاريخ هذا يسمعه من يتجول في أسواقها وحاتها القديمة وهو يحكي أخبارها ويروي قصة كل معلّم فيها. يقول زيادة: "عرفت المدينة القديمة سوقها الطويل الذي يصل ما بين طرفيها دون انقطاع، سوق طويل تتفرّع منه أزقة ودروب وحات داخلية. كان بإمكاننا نحن الصبية أن ندخل في أزقة معتمّة، نكتشف تعرجاتها وصولاً إلى القلعة، أو وصولاً إلى بركة الملاح أو الدباغة عند ضفة النهر، أسواق مسقوفة تتصل بفسحات واسعة تفضي إلى منازل تتقدّمها شبه حدائق، ذلك التداخل بين عوامل مختلفة ليس بينها حدود واضحة، اختلاط الخلق والمهن والروائح والأصوات. ثم أنّ السوق هو محيطنا الذي نعيشه ولا نفكر فيه"¹.

في هذه الأسواق تكمن المعالم الحضارية في مدينة طرابلس القديمة الأثرية، تحاكي مثيلاتها في القاهرة ودمشق وغيرها من المدن العربية، حيث بذل الفنانون والخطاطون والمزخرفون أقصى ما بلغوه من رهافة الحس الدوقي الفني، إذ تندمج العناصر المعمارية بعضها ببعض لتقدّم نموذجاً متكاملماً لما عرف باسم فنّ العمارة الإسلاميّ. للجامع الكبير، الذي يقع وسط الأسواق، بوابات تفضي كلّ واحدة منها إلى جهة من جهات المدينة. فإذا خرجنا من بوابته الرئيسيّة وجدنا أنفسنا أمام مدخل سوق الصّاعة، وإذا خرجنا من بوابته الشرقيّة فسنجد أنفسنا وسط جلبة السوق وازدحامه بالمتسوقين، حيث تقوم دكاكين بائعي المواد الغذائية، أمّا إذا خرجنا من البوابة الجنوبيّة فإنّها ستقودنا إلى محلة الحدادين أو إلى ساحة النجمة حيث المدينة الحديثة .

وما زالت أسواق طرابلس تشهد النشاط الذي عرفته في كلّ العصور السالفة، بل إنّ ازدحام السير في أسواقها التي عمرت في عصر المماليك ستبطل من سيرك، لتتمعّن بالمعالم والآثار المنوّعة. فإذا اتجهنا

2- زيادة، خالد: يوم الجمعة يوم الأحد. ص115.

صوب سوق الصّاعة لا بدّ أن نتوقف عند أوله حيث يقوم حمّام النوري، وهو من الحمّامات المملوكيّة المتبقّيّة¹. ويدلّ بناؤه على الأبهة التي كان عليها، ويتكوّن مثل سائر الحمامات من غرف تعلوها قبوات تتفتح فيها فتحات زجاجيّة صغيرة لدخول الضّوء. تحيط بالغرف مقصورات فضلاً عن قاعته المركزيّة التي تعلوها قبة بديعة البناء. والحمّام في المدينة علامة من علاماتها فلا تكتمل بدونها، وهو المكان الذي كان يقصده الأهالي للاستحمام والاستجمام والعلاج من بعض الأمراض، وإذا خرجنا من بوابة الجامع الكبير الشرقيّة، فإننا سنجد أنفسنا في درب المفضي إلى سوق العطارين، حيث لا تزال دكاكين باعة المواد العطريّة والأعشاب الطبيّة قائمة تلاصق دكاكين باعة الكتب والملابس. ويُخيل للسائر في هذا السوق أنّه قد عاد في الزمن إلى أوقات سابقة لاختراع السيارة. والحقّ أنّ كلّ أسواق طرابلس القديمة تمتنع عن استقبال الآليات فلا يمكن لغير المشاة أن يطرقوا دروبها. يقول زيادة: "إنّ الأمكنة والشوارع والأحياء والمقاهي، كالذكريات بعضها تعود إليه دائماً، وبعضها لا يمرّ في خاطرك إلّا في المناسبات، وبعضها يدخل في طيّ النسيان".² سوق العطارين الغنيّ بالمعالم الأثريّة، وهو سوق طويل تحفّ به أسواق وحاتر تتخللها الدروب المتداخلة التي تنتشر على جنباته. "ومع ذلك لم نفكر طويلاً بالتاريخ الكثيف الذي تحمله تلك الأسواق والأزقة الداخليّة، ولم نكن ندرك أنّ أجيالاً متعاقبة مرّت من هنا، وعاشت في تلك الدروب والعقبات"³. ثمّة معالم أثريّة بارزة في محلّة الحدادين التي نصل إليها إذا عبرنا طلعة الرّفاعية، وتابعا

1- تدمري، عمر: تاريخ وآثار طرابلس. 1994. الميادين. من أفخم الحمّامات التسعة التراثية التي بناها المماليك في طرابلس. ص160.

2- زيادة، خالد: يوم الجمعة يوم الأحد. ص121.

السّير نحو جنوب المدينة. أول المعالم البارزة التي نصادفها جامع الطّحام وهو مبنى يرتفع فوق الدّكاكين، وسط السوق حيث تتداخل أوقات الصلاة بأوقات العمل .

أمام هذا الجامع درب طويل تتفرّع منه أزقة وممرات ما زالت تحافظ على طابعها الأثري وفي نهاية الدرب تقوم مدرستا "السّقرقية" و"الخاتونية". وبعد دقائق نصل إلى ساحة "الدفتردار"¹، وهو اسم لمسؤول المالية في العصر العثماني. نجد هنا عدداً من الأثار العثمانية مثل الجامع المعلق، الذي سُمّي بهذا الاسم لأنه يرتفع فوق السوق، فيعبر المارة تحت مبناه الذي نَصعد إليه بسلم حجريّ، لنصادف مباشرةً بوابةً ضخمة هي مدخل الحمّام الجديد، يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثامن عشر، وقد بناه والي طرابلس "إبراهيم باشا"²، وهو حمّام تتوافر فيه كلّ العناصر العمرانيّة المعروفة. وصولاً إلى مقهى "موسى"، حدود المدينة القديمة بمحاذاة المدافن الملاصقة لجامع طينال، وهو الجامع الوحيد الذي يقع خارج الأسواق .

وسرعان ما نمت مدينة طرابلس آنذاك واتّسعت، وكثرت أسواقها وعمارتها، يقول زيادة: "فحدثت تبدّلات ذات مغزى في الاتجاه المفضي إلى تحديث المظاهر، فكان قرار المحافظ بمنع سير عربات النقل التي تجرّها البغال، مفسحاً المجال لازدهار عصر سيارات الأجرة. فمطلع الستينات انتهى أمر الخبز المنزليّ، وكان التطوّر العمرانيّ سبب عجول أهل المدينة القديمة إلى الشوارع والأحياء الحديثة لتلغى عادة الخبز داخل المنزل، نظام قيمى جديد يشمل أنماط العيش"³ فقد كانت الستينات فترة تذليل العقبات بين التقاليد والحدثة حيث كانت الحدثة والعصرنة تُقحم إقحاماً قسرياً في مجتمع بيدي مقاومة للمظاهر التي تسلبه

1- معجم المعاني. الموظف المالي المكلف تنظيم الوارد والمنصرف من أموال الحكومة . كلمة فارسية الأصل دخلت اللغة التركية، وقد تشير إلى (يحي دفتردار 1927/1847م).

2- إبراهيم باشا الإفرنجي (1536/1494هـ) هو أول صدر أعظم عينه السلطان سليمان القانوني.

3- زيادة، خالد: يوم الجمعة يوم الأحد. ص134.

4- المرجع نفسه. ص116.

شخصيته حيث تمّ التوافق والمهادنة بين النماذج والقيم المتضاربة فقد كانت فترة سعيدة، بمنظار أولئك الذين اعتبروا كلّ ما حدث مرادفًا للتقدّم . إنّه نقل لسيرة مدينة في فاصل زمني محدّد .

عن المدينة الحديثة يقول زيادة: "كان العمران يزحف آنذاك بشكل خاص باتجاه الميناء على ثلاثة خطوط، بحيث اتصل عمران المدينة بالميناء اليوم أو يكاد، كأنّ التحديث لا يتمّ إلاّ بالثأر من القديم، والحقّ أنّ التحديث العمرانيّ يمكنه أن يشقّ طريقه بالتغاضي عن القديم كأن تتجاوز المدينة القديمة إلى جانب المدينة الحديثة بدون خصام أو إهدار للتاريخ"¹. فصار "التل" نواة المدينة الحديثة حيث امتدت طرابلس الحديثة على مساحة واسعة من البساتين دون أن تطال طرابلس القديمة فقامت المباني الحديثة لتلامس المنازل العتيقة. ذلك أن التحديث العمرانيّ يأخذ شكل امتداد وانتشار وتوسّع كأنّه ينبثق من المدينة القديمة انبثاقًا لأنّه يستهدف إخراج القديم من عقاله. يروي زيادة "يرقى التحديث في طرابلس إلى نهاية عهد التنظيمات العثماني، في الفترة التي كان فيها مدحت باشا واليًا على سورية عام 1879. كان مدحت باشا مشجعًا بالأفكار الدستوريّة والتحديثيّة وإبان ولايته القصيرة قام بالعديد من الزيارات لمدن ولايته، ونصح الوجهاء في كلّ مدينة زارها بإقامة صرح جديد، من علامات ذلك أقيم في المدينة منتزه عام ومسجد، وإلى الفترة العثمانية المتأخرة يعود بناء السرايا في منطقة التلّ، وبإزائها أقيم برج الساعة عام 1898 لمناسبة مرور ربع قرن على ارتقاء السلطان عبد الحميد العرش"². فكان التلّ حيث أقيم المنتزه والسرايا وبرج الساعة منطقة تستقطب الحدائث العثمانيّة، حيث تشجّع وجهاء محلّيون فبنوا منازل أشبه بقصور أشهرها قصر نوفل³ الذي بُني في نهاية القرن التاسع عشر على الطراز الإيطالي الحديث، فكان علامة من علامات التجديد العمراني

1-زيادة، خالد: يوم الجمعة يوم الأحد. ص 18.

2-المرجع نفسه. ص 16.

3-قصر نوفل الثقافي القائم في منطقة التل في طرابلس.

في منطقة التل التي كانت آنذاك تشهد قيام طرابلس الحديثة. بعد إنجازها من قبل مالكه وصاحبه "قيصر نوفل" ¹، وقصر نوفل منذ نشأته فرض هيئته على ساحته وامتاز بقرميده الأحمر الشهير بقرميد مرسليليا القائم على سطح المبنى، وجمالية القصر لا تقتصر على قرميده فقط، بل تتسحب على بقية تفاصيله وإنشاءاته، وهي تكمن من الخارج في تلك الزخارف والنقوش على الجدران والتي تزين الشرفات، استُخدمت مواد بنائه من إيطاليا مع العمّال والمهندسين، ويعود تاريخ تأسيسه لسنة 1898م²، هو حالياً مركز ثقافي بلدي، وقد رُمّم منذ وقت قصير من قبل بلدية طرابلس.

فكان التبدل الذي طرأ على تخطيط الشوارع وخطط العمران، فمن الدروب والأسواق الضيقة إلى الجادات الواسعة العريضة، ومن الدور المتداخلة والمتلاصقة إلى البنايات المرتفعة التي تحاكي مثيلاتها في بلدان أوروبا. ومن ثمّ انتشر العمران الذي هو أصل طرابلس الحديثة ليكون الشارع الذي قام على هذا الخط المستقيم، هو اليوم أحدث شوارع المدينة حيث تنتشر على جانبيه المحلات المترنجة. ثمة هدم يعقبه، لكن الهدم لم يطل الأبنية والمؤسسات، ولكنه طال أبنية وصروحاً تاريخية، هدم الآثار العثمانية كذلك هدم منشآت بناها أبناء المدينة لتحلّ محلها البنايات السكنية، إنّها جدلية عميقة "في نهاية القرن الماضي وأوائل الحالي، كان للعمران الحديث هوية صارخة تفصح عن موديلات فرنسية وإيطالية، كانت العمران يستجمع كلّ المعاني المرتبطة بنمط حياة يكتسح الجديد القديم منها، ثمة اكتساح ديموغرافي بلا هوية تقريباً"³.

4--قيصر، نوفل: من أبرز رجالات طرابلس (1893-1908) شغل عدّة مناصب في العهد العثماني.

1-منجد، صفوح: قصر نوفل. منشورات مؤسسة سابا زريق الثقافية. المجلس اللبناني الثقافي الشمالي. 2006. ص9.

2-زيادة، خالد: يوم الجمعة يوم الأحد. ص24.

الخاتمة

ينشغل المفكر والمؤرخ اللبناني /الطرابلسي "خالد زيادة" بقضايا التحديث، وتأثير التطور العمراني في واقع التقاليد الاجتماعية للمدينة النهرية، وما أحدثته وتحديثه من متغيرات سياسية واجتماعية، كتبها باهتمام أدبي وأسلوب روائي، مع استناده في الوقت ذاته إلى معطيات تاريخية ومنهجيات علم الاجتماع، ولهذا السبب قرأت الثلاثية، وخصوصاً الجزء الأول منها "يوم الجمعة يوم الأحد"، الذي احتل منذ صدوره موقعاً مميزاً بين أنواع السرد باللغة العربية، لجمعه بين السيرة والانتربولوجيا، وافتتاحه نمطاً جديداً من الكتابة حول المدينة التي شهدت أدوار الحداثة والتقليد، ومعاناة الوحدة والانقسام وتداخل العام والخاص، فُصنف عملاً روائياً استثنائياً قرأ من طلاب الاجتماع والتاريخ والعمارة، وقد وجد كل صاحب اختصاص ما يفيد فيه فيها. مدينة -طرابلس لبنان- تقع على المتوسط الشرقي، واكبت موجة الحداثة مع تشبثها بجذور الأصالة والتقليد، فانقسمت إلى شقين: (قديم وحديث). هي العاصمة الثانية للبنان، ولكنها مدينة قائمة بذاتها منفردة، تبدأ من نفسها وتنتهي إليها، فعلى الرغم مما توالى عليها من تغيير، ما زال ممكناً النظر إليها كمكان ذي سمات تختص به في سياق زمني واحد.

هذا ما تطرق إليه خالد زيادة في كتاب "يوم الجمعة يوم الأحد" سيرة الأمكنة في زهوها واندحارها كما عاشها المؤلف نفسه في مدينته طرابلس. فقد كتب السيرة المتقطعة للأوقات المتغيرة بدورها، دافعه إلى ذلك إيمانه بالعلاقة الحميمة التي تقوم بين الأمكنة والأوقات، يقول زيادة: "يترك مرور الوقت علامات عميقة

على الأمكنة، في ذلك الوسط المدينيّ، حيث التجاذب بين القديم والحديث، بين التقليديّ والآخر، لا يخلو الأمر من عنف رمزيّ قبل أن يتحوّل إلى صراع مكشوف. لقد مرّ الوقت الذي تعايشت فيه النماذج بسلام ظاهريّ، فترة سعيدة من الزمن بين الخمسينيات والستينيات، صنع سعادتها عالم الطفولة والصّبا الأول. في الحيز الضيق للذكريات التي يصعب على التحليل أن يدركها، ربما يمكن المقاربات الأدبيّة التي تجاور الأنثروبولوجيا أن تجمع شظايا الأمكنة التي ليست سوى انعكاس لشظايا الذاكرة¹. فالكاتب يوثّق الأحداث بالإعتماد الكليّ على ذاكرته وأيام طفولته، مراهقته وصباه، مشاركته في المظاهرات الطلّابية، معاشته للواقع والتبدّل الذي عاشته طرابلس بفعل تعرّضها لرياح "الحداثة"، فيروي مشاهد ومحطات من حياة مدينة طرابلس.

1-تصر الله، حسين: مجلة الكفاح العربي.1994. بيروت، 21 تشرين الثاني.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية:

1. البعلبكي، منير: معجم أعلام المورد. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992.
2. زيادة، خالد: حوارات في الثقافة والتاريخ. رياض الريس للنشر. بيروت، لبنان، 2022.
- رحلة الدارس في تاريخ طرابلس، بلدية طرابلس. طرابلس، لبنان، 2004.
- يوم الجمعة يوم الأحد. مقاطع من سيرة مدينة على المتوسط. دار النهار للنشر، بيروت 1994.
3. السكوت، حمدي: قاموس الأدب العربي الحديث. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر. 2015.
4. طرابلسي، فؤاد فوزي: أسماء طرابلس وألقابها في المصادر التاريخية والأخبار المروية. 1439/2018 هـ.
5. كجارة، نزيه: الأدب القصصي في لبنان الشمالي. منشورات مؤسسة شاعر الفيحاء سابا زريق الثقافية.
6. كيال، مهى وعطية، عاطف: تحولات الزمن الأخير. دار مختارات 1/1/2001.
7. منجد، صفوح: قصر نوفل. منشورات مؤسسة سابا زريق الثقافية.

ثانياً: المقالات والصحف:

1. ملحم، شاوول: خالد زيادة. جريدة النهار.

ثالثاً: مقابلات شخصية:

1. مقابلة مع خالد زيادة السفير السابق وكاتب ثلاثية مدن على المتوسط.



Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة

ISSN: 2707-7675

رابعاً: مؤتمرات:

1. مؤتمر حول كتاب حوارات في الثقافة والتاريخ في قصر نوفل منطقة التل في طرابلس بحضور "خالد زيادة".